اثر المرأة فوق ضريح المرأة (١)

كتب اليَّ صاحب الاخلاق الفاضل يقول « تلطفت الكاتبة المعروفة الآنسة « مي » فاهدت الى الاخلاق نسخة من كتابها « باحثة البادية » الكتاب صغير الحجم كبير المعنى تتجلى خلال سطوره روح لطيفة لا يقتدر على لمسها سوى روح لطيفة مثلها فهل لك يا سيدتي ان تلمسي هذه الروح التي هي اقرب الى روحك من غيرها »

وكان الكتاب «الصغير الحجم الكبير المعنى» لم يصل اليَّ بعدُ ففكرت فوراً في ان اكتب اجابة لطلب صاحب الاخلاق الفاضل وخدمة لاخلاقه او ان اكتب قياماً بالواجب لا اندفاعاً بالعاطفة. اذ انى لي معرفة ما سيحيط بروحي من ارواح الاعجاب والدهشة والسرور بمعاني الكتاب التي صعدتُ بها الى سابع سماء اللذة قبل استلامه ؟

وكيف اندفع بمفعول حيًّا تلك الايات البينات ولم اكن قد ذقتها وتُلت بها ؟ اما الآن وقد سبحت نفسي في فضاء تلك النفس الكبيرة الواسع — نفس المؤلفة البليغة — وصبحت جداول افكاري الصغيرة في بحر نفائس ذلك الكتاب فاكتب بعاطفة توازي عاطفة « مي » اخلاصاً . وان نفستني بلاغة ندرة قد خصت بها « مي » فلها تهنئتي وبها افتخاري

بل ابدي رأيي بذات الحق الذي للمتفرج على صورة ابرزتها يد رسام ماهر وان عجزت يدهُ عن ابراز مثلها لعالم الوجود

وبحق تلك الحافظة المشتركة بين جنسنا كلهِ اجعل كلامي الخالي عن كاتبة الشرق الميتة وكاتبتهِ الحية صلة التعارف بين الشرق والغرب

الكاتبتان

باحثة البادية او المرحومة «لك حفني ناصف قرينة عبد الستار بك الباسل كاتبة مصرية مسلمة بليغة ، لها فضل المتقدم في اصلاح بنات وطنها بين المسلمات اذ كانت الاولى التي شعرت بالظلم وجاهرت بالتألم منهُ . ورأت الاستبداد فثارت

(١) بقلم السيدة عفيفة كرم نقلاً عن مجلة الاخلاق التي تصدر في نيويورك باميركا

نفسها تطلب الانطلاق من قيوده . فهي اول شرارة من نار الحرية السائبة اضرمتها يد الله في الديار المصرية بعصرنا هذا . وكم كانت فائدتها عظيمة لو لم تخلق مكبلة الافكار بالقيود الشرقية مسجونة الروح ضمن الحدود الدينية

ومن يلومها بل من لا يثني على غيرتها ، وقد اصبح لكل امر شرقي مساس بالدين بعد ان اختلطت الارضيات بالسماويات عندنا حتى اذا لمسنا موضوعاً دنيوياً من احدى جهاته نلمس الدين من كل جهاته . او ليس عجباً ان يكون الشرق منبت الدينين — الاسلامي والمسيحي — اللذين حظّا قيود العبودية البشرية واتباعهما الآخر يقيدون فئة ضعيفة منهما بهذه القيود . من هذه الفئة الضعيفة كانت ملك مع قوتها تكتب ثائرة ، متألمة ، متوسلة ، متوجعة ، ولم تشأ الانطلاق الباتاً من قيود الظلم . لانها تربط النفس والجسد معاً . ولانها كانت مصرية قبل كل شيء ومسلمة حتى النفس الاخير . وشرقية لها ذات الاعتقاد الذي صار قسماً هاماً من اخلاقنا وهو اننا من العالم زبدة تعدنه ، ومن خلائق الله صفوتها

وبينها وبين « مي » بون شاسع من حيث الافكار فهذه كتبت غير مقيدة ولا مترددة ، وجرت على خطة كاتبات الغرب فلم ترسم لنقدها حدوداً تسير عليها اذ لم يضع نوع تربيتها لنفسها لحرة حداً معلوماً . فجاء تعليقها على فترات باحثة البادية اطاراً نفيس الصنع لصورة طبيعية جميلة

وكأني بالمرحومة ملك وقفت في وسط ارض مصر الجميلة ترجع بنظرها الى عهد الفراعنة المجيد فلا تجد مانعاً من ارجاع مصر الى مجدها الغابر ، وعزها الدابر . لمساعدة بنيها وبناتها . وتطالع مؤلفات العرب المملوءة من الحكمة والفلسفة والشعر فترى فيها كنوز علوم وآداب شرقية تكفي الشرق مؤونة الالتجاء الى الغرب لعلمها ان يد الغرب لا تمتد لمعاونة الشرق الا طامعة . وقد تكون من بعض الوجوه مصيبة

اما « مي » فتعتقد وان لم تجاهر بوضوح ، ان مياه التمدن الشرقي قد جرت في وقتها ومطحنة مدنيته لا تدفع بقوة الماء الذي « جرى » بل بالذي هو « جار » وينبوعه في الغرب . والبرهان هو تدفقها بكتاباتها كالسيل وسلاسة عباراتها التي هي بصفاء ماء السلسبيل ، فهي كاتبة بليغة مفكرة قديرة حرة من كل قيد . بينما لباحثة البادية مقدرة « مي » وبلاغتها ولكن ليس لها كل حريتها بحكم المألوف من

العادات والتقاليد التي يرزح تحت اعبائها في الوسط الشرقي اكبر النفوس واطلقها

ولكن آرا الكاتبتين وان افترقت نوعاً فقد اتفقت مقصداً وهو اصلاح شؤون المرأة الشرقية وحل قيود ظلمها الفادح

فان ملك مثال المرأة الشرقية التي استقت ماء علومها من ينابيع مدارس الشرق . ومنها استخرجت كهربائية روحها التي تدير حركة نهضتها النسائية وقد احبت المتاجرة بوزنات علومها في بورصة الشرق وان خسرت

و « مي » هي ذلك المثال الحي للمرأة الشرقية العصرية الواقفة على حدود مدنيتي الشرق والغرب، تأبى الرجوع القهقرى بعد ان تخلصت من القيود الثقيلة التي تكبل العقل وتطرحهُ من محيطهِ الضيق الى الابد ، وتأنف من التوغل في فضاء الحرية اللانهائي المنفسح امامها بل تبتغي ابقاء الحسن مما تربت عليهِ من العادات ، وانتقاء الاحسن مما قيض لها ان تجدهُ وجعل طعام « المرأة الشرقية المقبلة » الروحي مدنية راقية لها صقال مدنية الغرب وبساطة وطهارة مدنية الشرق ، وليس لها تطرُّف تلك وتحفظ هذه

ومن ينكر على « مي » الاصابة فان شمس المدنيـة قد سرت من الشرق الى الغرب . وهي ترجع بدورانها نحو الشرق . فالتمدن الغربي الذي يأنفهُ الشرقي المتصلف المتمنع انما هو تمدنهُ القديم وقد زادهُ الغربي تحسيناً فلينشط هو الى استرجاعهِ وتطهيره من شوائب المدنية العصرية التي يئن منها الغربي ويخافها الشرقي، ولكن ذاك لشجاعتهِ يعتنقها ويصلحها وهذا لجبانتهِ يبتدعها فيخسرها

الكتاب

(هنا اشارت الى المقدمة التي قدمناها للكتاب ومدحتنا مدحاً هي احق بهِ ثم قالت)

ان كتاب باحثة البادية اثر ادبي جميل اقيم فوق ضريح نفس مخلصة راقيـة بيد اخت في الجنس وزميلة في الميدان

بل هو همزة الوصل بين الدينين الاسلامي والمسيحي وكلمة التساهل بين شعبين اخوين توجبهُ عليهما الحاجة الماسة ، وجسر الاتحاد الجنسي فوق خليج التعصب الديني تعبر عليهِ المرأة المسيحية الى اخت المسلمة فتأخذ بيدها للنهوض من خمول الجهل ومن تحت اعباء استبداد الرجل وظلمهِ

وفي اعتقادي القاصر ان اجل ما تحيي به جيد الكتاب النفيس — اجل من بلاغة لفتهِ ولطف اسلوبهِ — هو عاطفة المرأة تجاه المرأة — تلك العاطفة النسائية السامية التي تستعير من ضعف الجنس قوة ، ويحولها الاحتياج الوطني الى اخلاص دائم ، وتضرمها نار الظلم فتطير شرارة الهية من نفس الى نفس فتلتهب قلوب الجنس كلها بحرارة الغيرة المحرقة . انها من الكتاب روحه الخالدة . فهي التي تحيا وليس الجسد يحيي معها بلغ جمالهُ وكمالهُ

اذ متى رأيت المرأة تحيي ذكر المرأة وتمجد اسمها وتقر بفضلها ، وتذكر لها اعمالها بالفخر وهي تذيب بذلك نفساً ولا تذوب غيرة ، فقل ان في الوطن نساء يرفعنهُ من هوة انحطاطهِ ، وينتشلن جنسهن من تلك الهوة في قلب الهوة

وان لم يكن لنا سوى عاطفة الاخلاص الجنسي هذه فهي حسبنا تجاه استبداد الرجل بنا بل اذا فقدنا كل عاطفة لنا عدا هذه العاطفة التي تجعل الجزء يشعر بما يلم في الكل لحسبنا

بل حسب المرأة فخراً وكفاها نصراً ، انها في حال خروجها من كهف العبودية المظلم لفضاء الحرية المنير لم يبهر عينيها نور الحرية الساطع بل عرفت كيف تميز غث مبادىء الرجل من سمينها فانتقت لنفسها اجلها ، واهملت اردأها ، اذا اقتدت بهِ باخلاصها لبنات جنسها واقامة آثار الخلود فوق مدافن نابغاتهِ ، ولم تأخذ عنهُ عاطفتي الحقد والحسد اللتين تدفعانهِ لالحاق الاذى باخيهِ ومطاردتهِ عن وجه هذه الارض كأنها لا تسعهما معاً

وهوذا ادبياتنا المعروفات انهنَّ من فوق المنابر وعلى الطروس يذعن فضل اخواتهن تعزيزاً لشأن الجنس ، ولم تعرف منهن واحدة حتى الآن عمدت الى السفاهة وقلة الادب في مناظرة اخت لها كما يفعل بعض الرجال

ولعمري ان هذه الصفات العالية التي يطرحها قلب المرأة امام العالم للرؤية والاعتبار لهي كنز الثمين الخالد وعلى الجنس كلهِ واجب الوقوف لحراسة هذا الكنز لئلا تمتد اليهِ يدي لصوص «الحسد» التي قد تتسلل في حين غفلة الى المرأة في فوزها الحالي. اذ خير لنا ان نُعلَم وتبقى لنا كنوز فضائلنا الثمينة من ان تجري وراء الحرية وفي حال اسراعنا تقع من يدينا هذه الكنوز الى حضيض الاهمال . فالمرأة لا تقدر ان تحيا فارغة القلب ، ممتلئة الرأس لان فراغ القلب لا مأوى لهُ

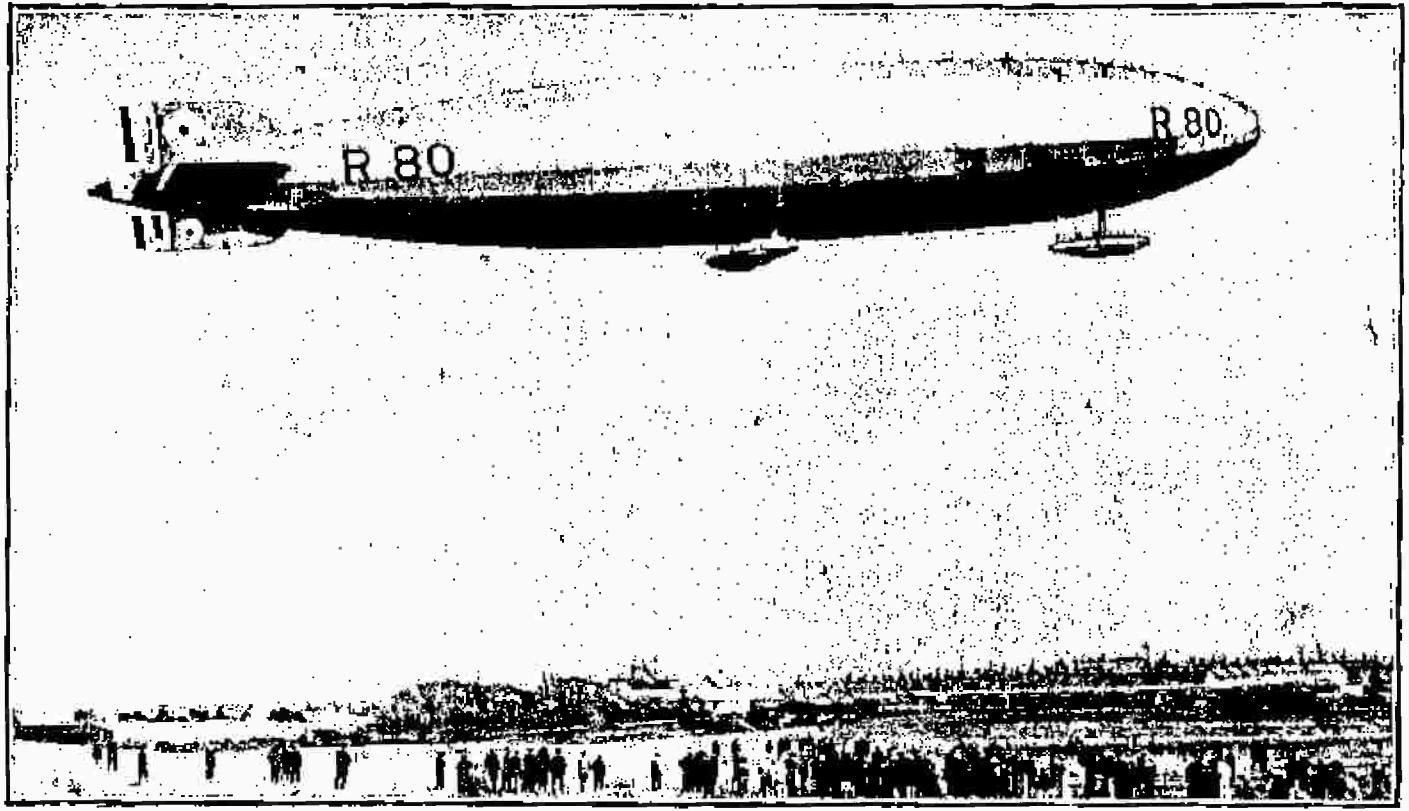

اللون المشار اليه في المقالة وردت الاخبار بعد ما كتبنا عنهُ انهُ عظيم فنشرنا صورة هذا اللون وهو مثلهُ لكنهُ اقصر منهُ بحو ١٠٠ قدم والمرجح انهُ اكثر منهُ اتقاناً

مقتطف مارس ١٩٢١

امام الصفحة ٢٦٩

وزبدة القول ان كتاب باحثة البادية هرم ادبي اقامتهُ سيدة سورية فوق ضريح سيدة مصرية ، وهو زفرة اصلاح حارة اخرجتها صدور بنات النيل فرددت صداها بنات الشرق الضاربات في جبال الغرب وسهوله

بل هو نفير الحرية ينفخ في وادي القراعنة مذكراً اياهم بصوت نصير المرأة الاول المرحوم قاسم امين ومنبهاً لهم لضرورة العمل باقواله في بدء نهضتهم الاستقلالية الجديدة لان الاستقلال الحقيقي يبتدىء في القلوب . وقلوب الامة تتربى على احضان الامهات

عفيفة كرم

البلونات التجارية

ذكرنا في مكان آخر من هذا الجزء اسرع الطيارات التي صنعت حتى الآن وما استخدمت لهُ . اما البلونات فاقصى ما بلغتهُ بلون تسبلن الذي طار ٤٠٠٠ ميل في ١٠٠ ساعة واسرع منهُ البلون البريطاني المرسوم ههنا وهو اول بلون عبر الاوقيانوس الاتلنتيكي بين اوربا واميركا . طولهُ ٦٤٣ قدماً وقطرهُ ٧٩ قدماً وارتفاعهُ الاكثر ٩٢ قدماً وفيهِ تسع غرف للغاز تسع مليوني قدم مكعبة من الغاز فتكون قوة رفعهِ نحو ٥٩ طناً ونصف طن يطرح منها ثقلهُ وثقل آلاتهِ ٣٣ طناً فيبقى ٢٦ طناً ونصف طن للركاب والبضائع . ويتصل بهِ خمس مركبات لآلاتهِ المحركة فيها خمس آلات متماثلة قوة كل منها ٢٥٠ حصاناً . ومعظم سرعتهِ ٦٢ ميلاً في الساعة

ويراد الآن قطع الاوقيانوس الباسيفكي بين اميركا واسيا طيرانا والمسافة بينهما ٤٥٠٠ ميل على خط مستقيم ويمكن جعلها مرحلتين الاولى من كليفورنيا الى هنولولو في جزائر صندويج مسافة ٢١٠٠ ميل والثانية من هناك الى اليابان مسافة ٣٤٠٠ ميل . او يمكن السير على ساحل اميركا الغربي الى قرب بوغاز بيرين ومن هناك قرب ساحل اسيا الشرقي فتكون المسافة من ٦٠٠٠ ميل الى ٨٠٠٠ ميل فاذا بلغ متوسط السرعة ٦٠ ميلاً في الساعة فتقطع هذه المسافة في ١٠٠ ساعة الى ١٣٥ ساعة اي في نحو خمسة ايام فتكون اقرب طريق لارسال البريد والبضائع المستعجلة بين اسيا واميركا